

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي - رؤية مقارنة

طالب الدكتوراه محسن حيدري بني

-جامعة إصفهان- كلية اللغات الأجنبية - قسم اللغة العربية وآدابها - إيران

m.heydari96@chmail.ir

الأستاذ المشارك الدكتور سردار أصلاني (الكاتب المسؤول)

جامعة إصفهان- كلية اللغات الأجنبية - قسم اللغة العربية وآدابها - إيران

sardareaslani@yahoo.com

الأستاذ المشارك الدكتور حسين بيرنجم الدين

المشرف المساعد - جامعة إصفهان - كلية اللغات الأجنبية - قسم اللغة

الإنجليزية وآدابها - إيران

pirnajmuddin@fgn.ui.ac.ir

Al Sayyab's "Song of the Rain" and Percy Bysshe Shelley's poetry : A Comparative Study

PHD Candidate Mohsen Heydaribeni

University of Isfahan , Faculty of Foreign Languages , Department of
Arabic language and literature , Iran

Sardar Aslani (Corresponding Author)

Associate Professor , University of Isfahan , Faculty of Foreign
Languages , Department of Arabic language and literature , Iran
Hossein Pirnajmuddin

Advisor : Associate Professor , University of Isfahan , Faculty of Foreign
Languages , Department of English language and literature , Iran

Abstract:

The poem "Song of the Rain" by Al Sayyab is regarded a fine example of modern poetry in Arabic literature. There are a number of researches on the literary sources of the poem, but they do not seem to be adequate or particularly convincing. This research paper is a humble attempt to open a new path towards discovering the literary sources of Al Sayyab's poem. After shedding light on the literary features in the poem and comparing it with some of the poems of P. B. Shelley, we show that Al-Sayyab has been influenced by Shelley in many of his poems. In most studies dealing with the life and poems of Al-Sayyab, he is thought to be inspired by T.S. Eliot in this poem. However, according to the assertion of many researchers, there is little, if any, accord between the poetic images and the contents of al-Sayyab and Eliot. The poetic method employed by Al-Sayyab is not been probed well; this paper, thus, tries to shed light on this gap. This is especially important for a number of reasons. This poem is considered as influential on many contemporary Arab poets, as they considered it as the best example of modern tendencies in Arabic poetry. The poem partakes of ambiguity and complexity as hallmarks of poetic modernity. Inquiring into the poem's sources of inspiration could shed light on such ambiguities. Adopting the French method for comparative studies, we show that the influence of the English poet on the Iraqi poet in writing "Song of the Rain" can be verified though Al Sayyab manages to create his own unique poetic world.

Key words : Al Sayyab's "Song of the Rain" , Percy Bysshe Shelley , T.S. Eliot, modern Arabic poetry , comparative studie .

الخلاصة :

قصيدة "أنشودة المطر" تعدّ كأحسن نموذج للحدائث الشعرية. قام الباحثون والنقاد بدراسات متعددة للكشف عن المصادر الأدبية لهذه القصيدة ولكنها لم تكن وافية ومقنعة، هذه الورقة البحثية محاولة متواضعة لفتح طريق جديد نحو الكشف عن المصادر الأدبية لقصيدة "أنشودة المطر". بعد تسليط الضوء على العناصر الأدبية في هذه القصيدة ومقارنتها ببعض قصائد "بيرسي بيش شيلي"، تحقّق نسبياً بأن السياب قد تأثر بشيلي "في كثيرٍ منها". شاعت في معظم البحوث التي تناولت حياة السياب وقصائده بأنه استعان باليوت في إنشاء هذه القصيدة. ولكن وفق تأكيد كثير من الباحثين لا يوجد انسجام ومطابقة بين الصور الشعرية ومضامين السياب واليوت. كانت معالجة هذه الحلقة المفقودة الأدبية من أهداف القيام بهذا البحث. ترجع أهمية هذه الدراسة إلى الأسباب المختلفة؛ تعدّ هذه القصيدة من القصائد المؤثرة على كثير من الشعراء المعاصرين، إذ كانوا يعتبرونها كأحسن نموذج لحدائث القصيدة العربية. يعدّ الغموض والتعقيد من مميزات الحدائث الشعرية؛ فتوجد غوامض كثيرة في هذه القصيدة. لا تحلّ هذه التعقيدات إلا بدراسة مصادرها الأصلية والتقية. يهدف هذا البحث إلى العثور على مصادر هذه القصيدة من الموثقات، والتصاوير، والمضامين لمساعدة القراء والباحثين في فهم أنجع وأحسن للقصيدة ونقدها. اتخذنا المنهج الفرنسي للدراسات المقارنة، مستفيدين الأسلوب الوصفي التحليلي. تحقّق لنا بأن السياب كان متأثراً بشيلي في إنشاء صور ومضامين مختلفة من القصيدة هذه وتنحصر استلهامه باليوت في قسم من القصيدة من جهة الموسيقى الشعرية.

الكلمات الأساسية : أنشودة المطر للسياب - بيرسي بيش شيلي - اليوت - الشعر الحديث - الرؤية المقارنة

..

١-١ المقدمة:

لم تحقّق البحوث المتوفرة عن قصيدة "أنشودة المطر" أهدافها، ومراميها ولما تصل إلى إجابات وافية ومقنعة. ظهرت البحوث بمحاولات جبرا إبراهيم جبرا، واستمرت هذه الجهود الأدبية والمعرفية حتى ماهر فريد، ومحمد شاهين، واحسان عباس، ولكن بعد هذه المساعي المستمرة في هذه القصيدة حسب قول شاهين لم يُثبت إنسجام بين الشواهد، وهم اكتفوا بالتشابهات غير المقنعة. يرى محمد شاهين بأن السياب قد استعان بإليوت (T. S. Eliot) في "الأرض الياب" (The Waste Land) بالإيقاع الداخلي الذي تولده الموسيقى الداخلية للغة. (شاهين، ١٩٩٢م: ٢٣، ٢٩)

قد تسببت شهرة إليوت الواسعة وقصيدته الشهيرة "الأرض الياب" بتركيز الدراسات على هذا الشاعر. ودارت بحوث مختلفة مبنية على تأثير السياب بقصيدة إليوت وأغلقت هذه الرؤية الضيقة، الأبواب على الدراسات الأخرى في هذه القصيدة. ومن جهة أخرى لا تنحصر قضية التأثير في قصيدة واحدة أو عند شاعر واحد. قد يستلهم الشاعر بصورة عفوية بعدة من الشعراء وبالقصائد المتنوعة، في قصيدة قصيرة؛ لأن الشاعر حين إنشاد القصيدة يرجع إلى مخزونه الأدبي في ذاكرته وقد يستفيد من اللاوعي الذي لا تتنبه به حتى نفس الشاعر.

بالمناسبة هذه، لا ينحصر النوع الموجود من الموسيقى في قصيدة "أنشودة المطر" بقصيدة إليوت، بل وفق قول موريه: الشعر الحر مبني على طريقة كاويلينية (Coweleyan Ode) التي ترتبط بعدة من الشعراء الرومانسيين، الذي يوجد شيلي بينهم كذلك. (موريه، ٢٠١٤: ٢٧٣-٢٧٤)

كُتبت هذه القصيدة في وقت كان السياب في ذروة مهاراته الشعرية، وكان عارفاً بالشعراء الكبار خاصة، الشعراء الإنجليز. قد صرح إحسان عباس

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(74)

بأن السياب، كان يقرأ كتاب أحمد صاوي، محمد عن ترجمة أشعار شيلي، قبل وروده إلى دار المعلمين العالية ببغداد، وكان يحاول أن يفهم بعض قصائده في أصلها الإنجليزي (١٩٩٢: ٧٢). كما صرح برغبته في أشعار شيلي في رسالة إلى خالد الشواف، عام ١٩٤٤. (Saedi, 2018: p. 240) تمّ التركيز في هذه الورقة البحثية على التصاوير والمضامين المستخدمة في قصيدة "أنشودة المطر" متأثراً ببيرسي بيش شيلي (P. B. Shelley)، الشاعر الرومانسي الإنجليزي، للقرن التاسع عشر. تُعدّ هذه الصور كقطع اللغز التي على الباحث أن ينظر إليها من مسافات بعيدة، للوصول إلى رؤية شاملة منها. تتشابه التصاوير في قصائد السياب بعضها مع البعض. فمن هذا المنطلق، عليّنا أن نعالج هذه الصور عن طريق دراسة القصائد الأخرى.

هناك بعض القصائد لشيلي التي قد تأثر السياب بها واستخدم تصاويرها ومضامينها في هذه القصيدة بصورة عفوية كالمرحبة الشعرية بروميثيوس طليقا (Prometheus Unbound). للإبتعاد عن الافتراضات الخاطئة نأتي بالشواهد الأخرى من تلك القصيدة. ما يهمّ بالنسبة لنا في البحث هذا، هو الابتعاد عن التكهنات الخاطئة. قد يستلهم الشاعر المتأثر بالعناصر المتكررة في ذاكرته أكثر من سائر العناصر، أعني التصاوير أو العبارات التي تسمى بالموثيف (Motif)، لهذا لقد درسنا القصائد المتنوعة للشاعرين لمعالجة هذا الموضوع وللوصول إلى رؤية شاملة عن هذه العناصر المتكررة في قصائدهما.

٢-١. أهمية البحث

تفتح هذه الورقة البحثية نافذةً أخرى على الدراسات المقارنة في أشعار السياب. كانت ومازالت الدراسات المقارنة حول هذه القصيدة منحصرةً على تأثير السياب باليوت. تُعدّ هذه الدراسة خطوة هامة نحو لفت الأنظار إلى دراسة أشعار شيلي ومدى فاعليتها في قصائد السياب.

خامرت حداثة القصيدة العربية أذهان الباحثين والشعراء طيلة القرن الأخير، وهي نقل التراث الأدبي إلى العصر الحاضر بصورة مناسبة ودقيقة. فحاول الكثير من الشعراء للوصول إلى هذه الأمانة. ربما دراسة هذه القصيدة مرة أخرى تفتح المجال لدراسات جديدة تكشف القضايا الهامة من جديد.

٣-١. خلفية البحث

يبدو أنه لم يكن تأثير شيلي على أشعار السياب موضع اهتمام الباحثين، ولم تكن ناجحين للوصول إلى دراسة مستقلة حول تأثير السياب بشيلي. وانحصرت الدراسات المقارنة حول قصيدة "أنشودة المطر" بتأثير السياب باليوت. تقتصر غالبية هذه الدراسات على ما جاء في كتب الباحثين السابقين من تأثير السياب باليوت، ولم تتخذ معظمها طرق علمية ممنهجة لدراسة هذا الموضوع. منها رسالة لنيل شهادة ماستر باسم "الشعر الرومانسي بين التأثير والتأثر؛ مقارنة نموذجية بين إليوت وبدر شاكر السياب" التي كتبت عام ٢٠١٩م. بيد الطالبين عثمان بشرى ومونيس بخضرة، تحت إشراف قادة محمد، في قسم الأدب المقارن بجامعة عبد الحميد بن باديس. فترجع أهمية هذه الدراسة إلى القسم الأخير التي يبدو أن الباحثين لم يصلوا إلى تطابق أو حتى تشابه خاص بين الشاعرين السياب وإليوت، ويؤكدان على تشابههما في الأسلوب والشكل دون تبين هذا الشكل بصورة بيّنة (بشرى، وخضرة، ومحمد، ٢٠١٩: ٨٦-٨٨). كتبت دراسة أخرى عام ٢٠١٩ باسم "بيننا متنتيت بين شاعرية إليوت والسياب" (Intertextuality between T. S. Eliot and Al Sayyab's poetry) دارست هذه المقالة النصوص المستخدمة في ديوان السياب مستلهما باليوت ولكن النقطة الهامة في هذه الرسالة هي أن الرسالة لا تدل على شيء جديد إلا ما جاءت في الكتب السابقة. نُشرت هذه المقالة بيد

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(76)

محمد أياد أي سره ونذري لطيف عزمي في مجلة الكنديون (Ayasrah & Azmi. 2019). دارت البحوث حول تأثير السياب باليوت في مقالة أخرى بيد الكاتبتين شادي نيمنة وذيب القيسي باسم "شاعرية بدر شاكر السياب؛ الأسطورة وأثر إليوت (The poetry of B. S. Al-Sayyab: Myth and the influence of Eliot) هذه المقالة نُشرت عام ٢٠١٥م. في المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية والإنسانية ربّما هذه المقالة اقترَب إلى الطريقة الشعرية التي تكلم بها السياب ولكنها ركزت على العبارات التي ليست متطابقة مع عبارات السياب وذكر عبارات قليلة لبيان المشابهة ويبدو أنه لا توجد مطابقة بين العبارات. وهذه المقالة لم تكتب وفق خطة معيّنة علمية Shadi & Al (Qaisi, 2015). استعنا من كتاب محمد شاهين معنونة بـ "أليوت وأثره على عبد الصبور والسياب"، منتشرة في بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عام ١٩٩٢، ومن هذا الكتاب استنتجنا بأن السياب لم يتأثر باليوت في الصور والأساطير بل معظم تأثره به كان في الأسلوب والنمط الشعري وفي الإيقاع. (شاهين، ١٩٩٢: ٢٩)

٤-١. الأهداف والأسئلة

تهدف هذه الدراسة الوصول إلى الصور والمضامين التي قد وظّفها السياب في قصيدته "أنشودة المطر" متأثراً بقصائد شيلي. ثم ندرس طريقة توظيفها أثناء النص الشعري، وندرس ضمناً مدى تأثير إليوت على قصيدة "أنشودة المطر" محاولين الإجابة إلى هذه الأسئلة:

في أية الصور والمضامين تأثر السياب بشيلي في قصيدة "أنشودة المطر"؟

ثم كيف طوّر السياب هذه الصور والمضامين في القصيدة هذه؟

كيف أثر إليوت على قصيدة "أنشودة المطر"؟

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(77)

انتهجنا المنهج الفرنسي في الدراسات المقارنة. ثم اضطلعنا بوصف وتحليل الأبيات الشعرية لكلا الشاعرين.

تحقق لنا أخيراً بأن السياب تأثر بشيلي في الصور والمضامين المستخدمة في قصيدة "أنشودة المطر" ولكنه ليس بإمكاننا رفض العوامل المختلفة المؤثرة الأخرى على إنشاد قصيدة "أنشودة المطر" حتى وإن كان هذا الأثر ضئيلاً، كأثر "الأرض الياب" للإليوت في الموسيقى الشعرية لهذه القصيدة كما أشار إليها محمد شاهين.

ذكرنا مصادر الأشعار الإنجليزية وفق الخطة المرسومة في اللغة الإنجليزية وهي ذكر مصادر الأشعار المطولة على أساس ذكر عنوان القصيدة ورقم الخطوط الشعرية.

١-٥. خطة البحث

انتهجنا المنهج الفرنسي في الدراسات المقارنة. تلتزم هذه المدرسة بعدة من القواعد التي نشرحها بالإختصار: الأول: يجب أن تكون الدراسة بين اللغتين المختلفتين. الثاني: في بداية الدراسة على الدارس أن يثبت قضية التفاعل تاريخياً والثالث: من أهم ما يجب على الدارس أن يقوم بها هي دراسة النص دراسة علمية تجريبية، أي على الدارس أن يدرس النص في أربعة مستويات: المضمون (theme) والموضوع (subject matter) والشخصيات (characters) والبنية (plot). (Cao, 2013: p. 19)

هذه المدرسة تهتم بالدراسات العلمية الجزئية في النص، لذا قام كبار هذه المدرسة بتقسيم الموضوع إلى المضمون (Theme) والتصاوير الجزئية (Images) والخيالية (Mirages) والموتيفات (Motifs). (Dominguez , 2015: p. 70)

قصيدة (أنشودة الوطن للسياح وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(78)

المضمون هي الفكرة الموجودة في العبارات، أو نفس المدلول الذي يعبر الكاتب عنه. والموضوع قد يشتمل على المضامين المختلفة. (شميسا، ١٣٨٢هـ.ش: ٢٩٥)

لم تكن هذه اللفظة أي "الموتيف" موجودة في المعاجم العربية ولها جذور فرنسية، وهي تعبر عن الحركة والإثارة. ويدل في الأدب على الفكرة الرئيسة أو الموضوع الذي يتكرر في العمل الأدبي. وقد تكون كلمة أو عبارة. والموتيف بشكل عام هي الجزء المتكرر والمستمر الحامل لمعنى أو قيمة ثقافية. (عموري، ١٤٣٦هـ.ش: ٥٩٠)

إن الصورة العقلية، تختلف اختلافاً بيناً عن الرمز أو التشبيه أو الكناية، حيث أنها تفوقها دقة وتأثيراً. ولها تأثير مباشر كتأثير الصورة التي نراها في زمن قصير ولكنها تبقى في الذاكرة لمدة طويلة وحسب تعبير ازرا بوند "شكل منحوت في حيز الزمان". (شاهين، ١٩٩٢: ص ٣٤)

قد التحمت في هذه القصيدة الصور المختلفة، غير أنه لا يمكن تفسيرها تفسيراً متواصلاً. لدراسة هذه القصيدة، نركز على ثلاثة مستويات حسب الخطط التي تثيرها المدرسة الفرنسية: في البداية نركز على الموتيفات في هذه القصيدة التي قد تتحول إلى الرموز ثم ندرس الصور التي تتكون حول هذه الموتيفات وفي المرحلة الثالثة يتجلى المضمون الذي كنا بصدد.

٢- نبذة من حياة الشاعرين؛

٢-١. بدر شاكر السياب

كانت حياة السياب مليئة بالحوادث والمصائب التي قد تركت أثرها على كل كلمة كان الشاعر يتكلم بها وبإمكاننا أن نسمع في كل لفظة آهات الشاعر وصوت مصائبه، من موت أمه في السادسة من عمره، عام ١٩٣٢م، ووحدته الحادة بعد أن تركه أبوه لزواج مع امرأة أخرى. (عباس، ١٩٩٢: ٢٦) والبيئة

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(79)

التي ترعرع الشاعر فيها ظاهرة في كل قصائده. من النخل حتى البوب
وجيكور التي قد تحولت إلى يوتوبيا الخيالية عنده. " تتخلل غابات النخيل
المحيطة بالقرية جداول أو أنهار فوقها معابر صغيرة من جذوع النخل."
(بلاطة، ١٩٨٩: ١٧)

بدأت دراسته الابتدائية من قرية باب سليمان قريب من جيكور ثم
للمرحلة الثانوية ذهب إلى البصرة وسكن دار جدته حتى عام ١٩٤٢م وفي هذا
العام ماتت جدته التي كانت تحميه وموت جدته كانت ضربة قاسية بعد موت
أمه (م.ن، ٣٠).

التحق بالحزب الشيوعي بدافع الحماية عن الفقراء والمظلومين، ولكن بعد
فترة من المصاعب قد أدرك أن الحزب يتبع أوامر رؤسائه في موسكو، كحماية
الحزب عن تكوين الكيان الصهيوني في الأراضي الفلسطينية (شكيب
أنصاري، ١٣٧٦هـ.ش: ٢٥٣). أصدر الحزب منشورا يؤيد فيه تقسيم
فلسطين، وأخذت جريدة " القاعدة " تمنع خروج الجيش العراقي من عراق
لحماية شعب فلسطين (عباس، ١٩٩٢: ١٠٤).

أفشى السياب نيات الحزب بعد خروجه من الحزب في مقالات كتبها عام
١٩٥٩ في مجلة " الحرية البغدادية " باسم " كنت شيوعيا ". (بيضون، ١٩٩١: ٢٥)
تعرض السياب للمصاعب العديدة من جانب الحزب إثر خروجه عن
الحزب وأصيبت بمرض حاد وانتقل بين العواصم المختلفة وفي النهاية مات في
المستشفى بالكويت. (شكيب أنصاري، ١٣٧٦هـ.ش: ٢٥٣)

٢-٢ بيرسي بيش شيلي :

كان شيلي من الشعراء الرومانسيين الإنجليز في القرن التاسع عشر ولد
في أسرة غنية من طبقة الأشراف عام ١٧٩٢م، بين أسرة غنية من طبقة
الأشراف. يعد من الجيل الثاني من الشعراء الرومانسيين الإنجليز والجيل

الأول يشتمل على كولريديج، ووردزورث، وبليك وهو مع كيتس، وبايرون عدواً من الجيل الثاني من هؤلاء الشعراء. شعراء الجيل الثاني لهم من الخصائص التي تميزهم من الجيل الأول ولعل أهمها هو حرصهم البالغ في القضايا السياسية والاجتماعية، ثم إفراطهم في استخدام الأساطير المختلفة. ارتد في المرحلة الثانوية عن العقائد الكنسية بكتابة مقالة باسم لزوم الإلحاد (The Necessity of Atheism) بمشاركة هاج (T. J. Hogg) وقد أخرج من الثانوية بتهمة الإلحاد. هو كان ثوروا طيلة حياته القصيرة وقام ضد الملكية والأرستقراطية السائدة في الدول الأوروبية. ذهب إلى الدول المختلفة لنشر آرائه الثورية. أقام فترة من الزمن مع زوجته مري شيلي بإيطاليا. إنه تزوج مرتين؛ ماتت زوجته الأولى بسبب الانتحار وكانت زوجته الثانية، الكاتبة الشهيرة، مري شيلي التي قامت بانتشار أشعاره بعد موته. شيلي مات عام ١٨٢٢، بسبب انقلاب زورقه. (Abrams, 2000: pp 698-700)

يشير مكدونالد (D. J. M. Donald) في كتابه راديكالية شيلي ومصادره (The Radicalism of Shelley and its Sources) بأن شيلي اقتبس هذه الرؤية من كتاب العدالة السياسية (Political Justice) لويليام جودوين الذي تلمذ الفلسفة عنده ويعد بنيت ويور (B. Weaver) "العهد القديم" للكتاب المقدس مصدر إلهامات شيلي فهو تعلم من التورات أن يركز حقه على القوى الشريرة وكذلك تعلم من "العهد الجديد" الأخوة العالمية بين أبناء البشر والتركيز على العدالة والمحبة (Vogel, 1940: p. 2).

٣- تأثير السياب بشيلي تاريخياً:

كان يُدرّس في دار المعلمين العالية كتاب "الكنز الذهبي" (Golden Treasury) وهذا الكتاب مجموعة من أشعار كبار الشعراء الإنجليز ككيسبير، ووردزورث، وشيلي، وكيتس وعدد من الشعراء الآخرين. (موريه، ٢٠١٤: ٨٥)

ذكر لويس عوض بأن السياب في إنشاد قصيدة "اتبعيني" استلهم بقسم من المسرحية الشعرية برومئوس طليقا باسم (Follow Me). (بيضون، ١٩٩١: ٤٤)

هو نصح الشعراء بقراءة أشعار شيلي، في محاضراته بروما قائلا: ((لعل أولئك الشعراء (نستطيع تسميتهم شعراء مجلة أبولو) لم يطلعوا - أم لم يُعجبهم على الأقل - من شعر شيلي إلا "إلى القبرة"، و"السيرناد الهندية"، و"الدعوة" ولم يطلعوا على آثاره الأخرى الأكثر أهمية أو لم تُعجبهم على الأقل، من "برومئوس طليقا" إلى "ثورة الإسلام".)) (الغري، د.ت، ٤٣)

٤- مناقشة تأثير السياب باليوت

قبل أن ندخل في دراسة تأثير السياب ببيرسي بيش شيلي من الأجدد أن نبين مدى تأثير السياب باليوت وما المراد بالأسلوب الذي يتكلم عنها السياب. يرى عدد من الدارسين كمحمد شاهين، بأن السياب قد تأثر بطريقة إليوت في إنشاد هذه القصيدة ولكنه يعترف بأنه في هذه المضامين والتساوير توجد "تشابه" فقط ولا "تطابقا". إنه يعتقد بأن السياب قد تأثر باليوت نغم القصيدة وموسيقاه وإلى جانب ذلك هو قد تبنى طريقة إليوت في إنشاد هذه القصيدة. (شاهين، ١٩٩٢، ٢٩)

كما قد صرح السياب نفسه بذلك قائلا ((أنا معجب بتوماس إليوت من الشعراء الإنكليزيين المعاصرين، متأثرا بأسلوبه لا أكثر لأنني نقيضه تماما من حيث الفكرة ومن حيث نظري إلى الحياة)). (على، ١٩٧٨: ٦٧)

استلهم السياب بشيلي في إنشاد هذه القصيدة من جهة المضمون ولكن حين يؤكد على لفظة المطر ويكررها نستنبط بأن قسما من الأسلوب الذي يتحدث عنه السياب، يكون توظيف الأصوات بشكل مناسب الذي جاء في قصيدة "الأرض اليباب" لليوت.

Drip drop drip drop drop drop drop/ But there is no water

(Eliot, 1922: p. 43, 358)

(دريب دراب دريب دراب دراب دراب دراب / لكن لا ماء موجود)
وحيثما نسمع تكرار لفظة المطر نلاحظ توظيف هذا الفن الحديث بشكل
مميز مع تكرار هذه الألفاظ في قصيدة "أنشودة المطر"؛
ودغدغت صمت العصافير على الشجر / أنشودة المطر / ...مطر / ... / ...
مطر

(السياب، ٢٠١٦: ج ٢، ١٢١).

قام إليوت بردم الهوة بين الشعرية وعلم الصوتيات حين أكد على أهمية
الجناس الاستهلاكي (Alliteration) أوبكلام واضح الضغط الصوتي الذي
يستخدم في بداية الألفاظ وأكد على فعالية هذا العنصر لتعزيز العلاقات
المتبادلة بين المجالين على حد سواء (Nori, 2009: p. 4).

كان السياب يعرف بتأكيد تأثير هذه الأصوات المتكررة وبث دويها في آذان
المتلقين ومدى جماليتها في بنية القصيدة الجديدة ونرى أنه عمد إلى تكرار هذه
اللفظة مع العلم بتأثيرها، لأنه أفاد بهذه اللفظة ثلاث وثلاثين مرة في هذه
القصيدة القصيرة بالنسبة للقصيدة الأرض الخراب. تشمل قصيدة "الأرض
الياب" على قريب من أربمئة وأربعة وثلاثين خطأ فقط في هذا الخط شاهد
هذا المطابقة نسبيا مع تكرار لفظة (دراب دريب) التي تشير إلى المطر. (Eliot, 1928)

كان الشبابة الموجودة بين ألفاظ الشعراء -إليوت وشيلي- مؤثرا في إيجاد
هذه الفكرة. ولهذا السبب نرى أن الدراسات لم تنته بعد إلى العثور على
التطابقات بل انحصرت في تشابهات وفق قول شاهين .

تحدث إليوت عن تأثره بشيلي في أيام شبابه، وهو يبين بأنه كان قد تأثر
بأشعار وصيغة شيلي الشعرية، خاصة هو يبين بأنه قد تأثر بشيلي في الموسيقى
الشعرية تأثرا بالغ بحيث سيطر هذا الضرب من موسيقى الشعرية على أشعاره

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(83)

فأثبتت قصيدة "أغنية" (Song) التي نُشرت عام ١٩٠٧، بأنّ إليوت قد تأثر بشيلي تأثراً عميقاً (Lowe, 2002: pp 13-14).

٥- دراسة استلهم السياب بشيلي في صور الطبيعة

استناداً على دراساتنا تحقّق لنا بأنّ السياب استلهم بالتصاوير المميزة في قصائد شيلي واستخدمها في الأغراض المختلفة السياسية والاجتماعية

٥-١. أثر برومتيوس طليقا (Prometheus Unbound) لشيلي،

على السياب.

للوصول إلى رؤية شاملة عن المنظومة الفكرية عند كلا الشاعرين، علينا أن نقوم بمقارنة رؤية الشاعرين إلى الطبيعة ومن طريقها، سنسلط الضوء على المناطق المبهمة من هذه القصيدة. لمعالجة هذا الموضوع لندرس بعض قصائد شيلي ونبحث عن التشابهات التي تُثبت تأثر السياب بها. توجد في ديوان السياب صوراً مميّزة من الطبيعة التي تُثبت رغبته في قصائد شيلي حتّى القصائد التي لم تكن معروفة في الأدب العربي آنذاك، من دراسة هذه الصور نستنبط بأنّه كان مطلعاً على كثير من قصائد شيلي.

من القصائد الهامة التي تأثر السياب بها، هي المسرحية الشعرية برومتيوس طليقا التي ذكرنا آنفاً بأنّ لويس عوض أشار إليها ولكن لما يجر بحث عنه وفق دراساتنا.

تشتمل هذه القصيدة على العناصر التي تنبع من عبقرية شيلي ومقدرته الشعرية في رسم الصور البديعة وهو مزج هذه الصور برغبته في اصلاح العالم وهذه القصيدة نبعت عن شوقه واطلاعه في الأدب الإغريقي ومن جهة أخرى استلهم بالطبيعة الخلابة بروما. كان يعتبر شيلي هذه المسرحية الشعرية من أحسن أعماله الشعرية. تدور قصة هذه القصيدة حول "برومتيوس"

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(84)

الأسطورة الشهيرة ولكن وفق قول شيلي هي لاتشبه أي مسرحية أو قصيدة أخرى. (Shelley, 1901: pp 160-161)
نركز على قطعات مميزة من هذه المسرحية الشعرية لإثبات تأثير السياب بها، لأن هذه المسرحية الشعرية تُعدّ من المطوّلات وتشمل على أكثر من ألف بيت شعري. بصورة تفصيلية نأتي بقطعة من مسرحية برومثيروس طليقا التي تُثبت مدى تمحيص وتدقيق السياب في هذه القصائد.

٥-٢. استخدام أسطورة هرقل (Hercules)

إن هرقل يكون من الأساطير التي قد ذكرت في مسرحية "برومثيروس طليقا". قام شيلي بزيارة أنقاض الحمام الشهير كاراكالا (Baths of Caracalla) وهذه البنية الأثرية الشاهقة تتعلق بالقرن الثاني الميلادي وتكون شبيهة بالجبال الشاهقة وملئت بالتماثيل الميثولوجية كتمثال الهرقل العظيم ولاشك في أن شيلي استلهم بهذا الأثر العظيم في تنظيم هذه المسرحية العظيمة. اشتهر هرقل بسبب شجاعته في قتل نسر الذي كان يُعذب برومثيروس ويقطع لحمه باستمرار حين كان مقيدا في جبل- (Shelley, 1901: pp 160-162).

كانت هذه الأسطورة تعيش في كهف قد وُصفت بهذه الأوصاف في هذه المسرحية الشعرية :

Hercules: Most glorious among spirits ! thus doth/ Strength/
To wisdom, courage, and long- suffering/ love,...(Selley, 1901:
p. 191, III, 1-2).

(هرقل: أجل الأرواح! هكذا القوة إلى جانب الحكمة والشجاعة والحب مع معاناة طويل،...)

فيصف شيلي مكان إقامة هذه الأسطورة بهذه الأوصاف.

... There is a/ cave,/ All overgrown with trailing odorous
plants,/ Which curtain out the day with leaves and/ flowers,/ And

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(85)

paved with veined emerald; and a/ fountain/ Leaps in the midst
seats. with an awakening/ sound...and all around are mossy/
(ibid, p. 191, III, 10-21).

(هناك / كهف / مكسو بالنباتات المعطرة مع رائحة متنتقة / التي تغطي
الأرض كل يوم بالأوراق والأزهار، / والأرض مرصوفة بالزمرد الملونة؛
وينبوع، / تجري وسط الكهف مع صوتٍ مثير / ... وقد تغطي بالطحلب / كل
مجلس.)

يرسم شيلي كشاعر رومانسي الكهف كمكان مليء بالنباتات المعطرة مع
صوت ينبوع يجري بينه، فهذا الخيال المريح يخرج الإنسان من عالمه الواقع إلى
عالم سحري خيالي.

وإن السياب وصف هذا الكهف -أي مكانة إقامة هرقل- بهذه الصورة
التي كانت قد تكونت في ذاكرته مستلهما بهذه القطعات الشعرية. وهو في
"سفر أيوب ٩" في عام ١٩٦٣م، أنشد:

بالعضل المقتول والسواعد المجدولة / هرقل صارع الردى في غاره المحجب
بظلمة من طحلب

(السياب، ٢٠١٦م: ج ٢، ٣١٨).

إن السياب يذكر الكهف الذي يسكن فيه هرقل بنفس الأوصاف،
بالطحلب المزدهم، ولكنه لا ينظر إليه كشاعر رومانسي. فيصور هذا الكهف
كمكان مظلم، وكذلك ليس هرقل ذلك البطل القوي الذي يُنقذ بروميثيوس
من أغلاله، بل هو يصارع الموت في هذا الكهف المظلم. وربما يرجع هذا
الأمر إلى سبب بسيط؛ وهو مصارعة السياب مع الموت قبل سنة من موته.

٣-٥. القمر:

لاريب أن للقمر في الشعر العربي التقليدي أشعار جميلة وقام الشعراء
بوصف القمر في حالاته المختلفة ولكن بعض الصور المميزة من هذا الكرة

السماوية، تكون حديثة ومتأتية من الأشعار الرومانسيين الغربيين، وشيلي حسب مذهبه الفكري قد وظف صورة القمر في حالات عديدة وإن هذا الأمر يحتاج إلى دراسات موسعة، ولكنه قد يبدو القمر في أشعار شيلي تحولت إلى رمز للخوف، والهلع، والبرودة الليلية.

اتخذ السياب هذه الفكرة المبنية على برودة القمر وبثّ الأضواء الباردة من أشعار شيلي ومن جهة أخرى هذه الكرة المحاطة بالجليد كانت مصدر الخوف والهلع والإعجاب للأطفال. قد يبدو أن هذه الرؤية ما كانت معروفة في الأدب العربي التقليدي. قام السياب بإفصال هذه الصورة من اللوحة الشاملة في أشعار شيلي المطولة، ووظفها في أشعاره وقد زوّد هذه الصورة بالمعاني الرمزية التي يفسح المجال للقارئ للغور في تفاسيره عنها. وظف السياب صورتين مختلفتين للقمر: وأنشد في قصيدة "أنشودة المطر":

البرد ينث من القمر.

يتحول القمر في مسرحية برومثيوس طليقا إلى شخصية ميثولوجية تتكلم مع برومثيوس وقام شيلي في قصائد مختلفة بتصوير هذه الكرة السماوية بسميزات خاصة ويبدو أن هذه السميزات كان مؤثرا في تغيير رؤية السياب إلى القمر. تنبع هذه الفكرة أي برودة القمر من المسرحية الشعرية برومثيوس طليقا، إذ في هذه القصيدة، الحوار يدور بين القمر، والأرض والقمر يصف حالته بهذه الصور:

The snow upon my lifeless mountains/ Is loosened into living
(Shelley, 1901: p. 202, 356-357) ... fountains

(الترجمة: الثلج فوق جبالى المتجمدة / منهدرة نحو الينابيع الحية)

القمر في أشعار شيلي ترمز إلى الخوف والهلع وظهور القمر يتلازم مع ظهور الليل والظلمة.

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(87)

ونرى أن السياب في قصيدة "أنشودة المطر" يشير إلى خوف الطفل من القمر :

و نشوة وحشية تعانق السماء/ كنشوة الطفل إذا خاف من القمر.

(السياب، ٢٠١٦: ١٢١).

استلهم السياب هذه العلاقة السلبية بين الإنسان والقمر بالأشعار الرومانسية، فنلاحظ علاقة مميزة بين الموتى والقمر، فأشيد شيلي في قصيدة "السحاب" (The Cloud):

That orb'd maiden, with white fire laden,/Whom mortals call the Moon, (Shelley, 1901: p. 380, 48).

(الترجمة: تلك العذراء الكروية، محمولة بالنار البيضاء/ التي يسميها

الموتى القمر).

فيبدو أن هذه العلاقة قد أثرت على السياب و هو أشيد في "القرية

الظلماء":

استيقظ الموتى هناك على التلال على التلال/ الريح تعول في الحقول وينصتون

إلى الخفيف/ يتطلعون إلى الهلال/ في آخر الليل الثقيل ويرجعون إلى القبور/

يتسائلون متى النشور.

(السياب، ٢٠١٦: ٣٤٢/٢)

قد تكررت نفس الصور في ديوان السياب كما رأيناها وهو؛ الموتى " هم

يتطلعون إلى الهلال من قبورهم". و يرى شيلي ب" أن الموتى يسمون تلك

الكرة، القمر". قد يتراءى أن هذه الصورة من القمر والعلاقة المتبادلة بين

القمر والموتى لم تكن موجودة في الأدب العربي. والقمر مادام كان رمزا

للجمال ورمزا للضياء بين الظلمة.

٦- ١. عنوان القصيدة "أنشودة المطر":

ذكرنا آنفاً بأن السياب في محاضرة بروما قد ذكر بعض قصائد شيلي من بينها كانت قصيدة "إلى القبرة" (To a Skylark) و" ثورة الإسلام" وكذلك قصيدة "برومثيوس طليقا". أن السياب في نظم قصيدته " أنشودة المطر" قد استلهم بهذه القصائد. ونرى أن قصيدة "السحاب" (The Cloud) كانت في بؤرة هذه القصائد وبعض القصائد الصغيرة الأخرى قد تركت أثرها على السياب في إنشاد هذه القصيدة. تشمل بعض من هذه القصائد والمسرحيات الشعرية على أكثر من ألف بيت شعري فليس بإمكاننا أن ندرسها في هذا المجال الضيق.

نُظمت هذه الأنشودة عام ١٩٥٤، أي في مرحلة كان السياب في ذروة مهارته الشعرية وكان قد تعرّف على كثير من الشعراء الغربيين. هذه القصيدة منبعثة من ذات الشاعر. وقام بشعوره المرهف، بمزج صور الطبيعة بذكرياته المؤلمة. ومن جهة أخرى، يبين المصائب الطارئة على العراق بكلمات قصيرة، ك"الجوع"، و"الدم المهرق"، و"ذخيرة العراق بالعودة". ثم يغرس الشاعر الأمل في نفوس العراقيين بالمستقبل المشرق. وكأنه يكرّر هذا الأمل في صوت المطر المنبعث، من تكرار لفظة "المطر".

حسب تعبير محمد شاهين: "إن أنشودة المطر تتمحور حول لحظة الشدة التي هي لحظة الإبداع والتي توصف عند دانتى بالحد الفاصل بين العالمين الذين يمثلان طرفي الصراع الأزلي في حياة الإنسان" وهذه اللحظة هي الحالة التي تجمع بين حالتين متقاربتين متداخلتين: حالة إنجباس المطر وحالة انتظار نزوله (شاهين، ١٩٩٢، ٢٤).

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(89)

إن السياب في هذه القصيدة بمهارة ندر مثلها عند شاعر آخر يقوم بإيجاد إنسجام بين الذات والمجتمع والطبيعة و يسمع المتلقي صوت ذاته المؤلة التي تُكرّر الأمل بصوت المطر في أذنيه.

حسب قول الذي ينقله السياب عن سبندر: أن الفنان الحديث أصبح انطباعيا، وسرياليا، وتكعيبيا، ورمزيا في محاولته الهادفة في إيجاد انسجام بين ذاته وذات المجتمع (السياب، ٢٠١٦، ج ١، ٣٩).

هذا العنوان يبين علاقة الشاعر المتبادلة مع الطبيعة. كان صوت نزول المطر، مصدر إلهامات كثيرة للشاعر. قد تتحول صوت المطر بضرباته المنسجمة المتتالية إلى أنشودة تلهمه كثير من المصائب المؤلة التي قد حدثت طيلة حياته. يستمع الشاعر إلى هذه الأنشودة، ثم يحولها إلى كلمات تجري على لسانه وهذه العبارة "أنشودة المطر" أو بالأحرى أن نقول هذا الشعور، تنطبق مع أشعار شيلي التي قد نظمها في قصيدته "إلى القبرة" التي أشار السياب إلى أهميتها في محاضراته بروما؛

Drops so bright to see/ As from thy presence showers a rain
of/ melody (Shelley, 1901: p. 381, 35).
(الترجمة: القطرات المضيئة للرؤية/ كأن من حضورك يهطل مطر من/
الموسيقى.)

تجعلنا لفظة "مطر الموسيقى" (Rain of Melody) أو العبارات الأخرى- التي سنذكرها- أن نعتقد بأن السياب قد تأثر بشيلي في إنشاد هذه القصيدة، بل يجعلنا الشعور المنبعث من قراءة هذه الكلمات، بأن نرى بأن السياب، استلهم بشيلي في إنشاد قصيدته "أنشودة المطر".

في أشعار مختلفة من شيلي نلاحظ هذه العلاقة المتبادلة بين المطر والموسيقى مثلا نلاحظ أنه قد أنشد في قصيدة (Fragments):

Soft melodies, as sweet as April rain/ On silent leaves, and
(Shelley, 1901: p. 470) ... sang those words

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(90)

(الترجمة: الأنغام الرخيمة ، تكون جميلة كمطر أبريل / على الأوراق الصامتة، وتتغنى بتلك الكلمات.)

٦-٢. استهلال القصيدة

استهل السياب هذه القصيدة بصورتين جميلتين لأن يحرك عواطف القارئ .

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر/ أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر (السياب، ٢٠١٦: ١٢١).

تشبيه العيون بغابات النخيل ساعة السحر، نرى بأن السياب بعقريته الفذة، قد رسم تجربته من هذه اللحظة في لوحة خالدة. ويُفيد الإتيان بالجملة الإسمية الثبات في ذاكرة القارئ،. قد بين جاك بيرك و يُعلق على " أنشودة المطر" في مقالته "ديالكتيكية الذات والطبيعة" التي نُشرت في مجلة يرأسها أدونيس (أحمد سعيد) باسم "المواقف" وهو يقول : نلاحظ أن القصيدة وإن كانت تعتمد على التفعيلة الحرة، تبدأ على غرار القصيدة القديمة بالنسيب، ويُمجّد جمال المرأة، وعيونها (شاهين، ١٩٩٢، ٥٠).

قد يخيل إلينا أن السياب استهلّ القصيدة بالنسيب، لكنه إذا درسنا هذه القطعة وراجعنا ذاكرتنا، تظهر أمامنا غابات النخيل المكتظة في هذه الساعة من السحر، ويكون هدوء الإنسان والطبيعة في هذه الساعة من اليوم، كنحت الصورة على الحجر. وتتمظهر صورة غابات النخيل أكثر من عيون الحبيبة في ذاكرة القارئ.

أنشدت هذه القصيدة في فترة كان السياب مصابا بالاضطرابات النفسية، أثناء انفصاله عن الحزب. هو كان قد تذوق مصائب كثيرة حتى آنذاك، كهروبه إلى الكويت وإيران. يلهم الإنسان، هذا التشبيه حالة من الحزن.

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(91)

وكان تشبيه العيون بأشياء مظلمة، دوماً دليلاً لبيان الخوف والحزن، خوف من الاحوال السياسية المضطربة، والحزن بسبب بعده عن أحبائه في جيکور. شبه شيلي في قصيدة "غطاء الفوضى" (Masque of Anarchy) المعارضين إلى البرلمان الإنجليزي إلى غابة هادئة وما هو يميز في هذه القصيدة شبه عيونهم مع نظرتهم المرعبة بالأسلحة التي تتسبب حرباً دون رغبة من جانب أحد فيه.

"Stand ye calm and resolute,/ Like a forest close and mute,/ With folded arms, and looks which are/ Weapons of an unvanquished war. (Shelley, 1834: p. 40)

(قفوا بهدوء وعظم، / كغابة مغلقة وبكماء، / مع الذراعين المطويتين، والنظرات التي تكون أسلحة حرب لا يقهر).

يدوا أن السياب استلهم بهذه العبارات في قصيدة "من ليالي السهاد" حين شبه البنادق بعيون الموت وأبدى كراهيته من الشيوعيين. تتبعني عيون الموت من زمر البنادق نزعاً بالشرر /.../ ولكن البنادق ما تزال عيونها الغضبي / تطاردني لأنني غير ربي وحده لم أتحذ رباً. (السياب، ٣٥٠)

٦-٣. عِينَان كَنِيزَكِين (شهاب)

نلاحظ مثلاً في قصيدة "سربروس في بابل" من مجموعة أنشودة المطر، قد شبه عيون كلب الجحيم (سربروس)، بـ "نيزكان في الظلام"، وقد أنشد:

عيناك نيزكان في الظلام / وشدقه الرهيب موجتان من مدى / تحبى الردى (السياب، ٢٠١٦، ج٢، ١٢٧).

أو كذلك وظف السياب هذا التشبيه في قصيدة "الموسم العمياء" للدلالة على الرعب والخوف الناشئ من العيون. (السياب، ٢٠١٦، ج٢، ١٦٢)

تنطبق هذه الأوصاف مع صورة خاصة من قصيدة "ثورة الإسلام" (The Revolt of Islam) التي تقوم بوصف كائن خرافي في ظلمة الفجوة العميقة.

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(92)

The earliest dweller of the world alone/ Stood on the verge of
chaos. Lo ! afar/ O'er the wide wild abyss two meteors/
shone.(Shelley, 1901: XXVI 260-263)

الترجمة: المقيم الأول في العالم / وقف وحيدا في عمق الفوضى. أنظر!
هناك بعيدا في ذاك الفجوة العميقة ، نيزكان تتلأأ.

أو نلاحظ شيلي شبه عيون الحية إلى النيزكين في نفس القصيدة؛

Small serpent eyes trailing from side to/ side,/ Like meteors
on a river's grassy shore.(ibid, p. 60, LVI)

عيون الصغيرة لثعبان تتحرك من جهة إلى جهة أخرى / كنيزكين في
الشاطئ العشبي للنهر.

" تشبيه العينين بالنيزكين في الفجوة العميقة " تنطبق مع صورة السياب من
" نيزكين في الظلام " وفي صورتين نلاحظ أن شيلي والسياب كلاهما يريدان
أن يعبرا عن الخوف والهلع الناشئ عن كائن خرافي.

نلاحظ صورا جميلة من الطبيعة في قصيدة " إلى السحاب " لشيلي، في هذه
القصيدة قام شيلي بأنسنة السحاب ويتكلم بلسانه ونلاحظ في هذه القصيدة
كذلك شبه العين بال "نيزك" حين يقول:

The sanguine sunrise, with his meteor eyes./ And his burning
plumes outspread./ Leaps on the back of my sailing rack. (ibid,
p. 380, 31-33)

المشرقة المتفائلة، مع عيونه النيزكية. / وريشاته المنبثة / يقذف على خلفي
المتحرك. الشمس

٦-٤. عينان كينبوعين في غاب من الحور

نشاهد أن السياب في قصيدة "سفر أيوب" عدد(٨)، قد شبه العيون
بالينابيع في غاب من الحور "عيناه كينبوعين في غاب من الحور."
(السياب، ٢٠١٦، ج٢، ٣١٦). في هذه الصورة أيضا يبدو أن السياب قد تأثر

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(93)

ياحدى قصائد شيلي التي أنشدها عام ١٨٢٢، باسم "المذكّرة" (The Recculection)، وهو قد أنشد:

We paused beside the pools that lie/ Under the forest bough,
Each seemed as 't were a little sky / Gulfed in a world below;/ A
firmament of purple light, /Which in the dark earth lay.(Shelley,
1901: p. 413, 50-55).

(الترجمة: نحن توقفنا عند بركة التي / قد وقعت تحت أغصان الغابة، /
وكلّ منها كانت كالسماء الصغرى التي / قد تقدمت في العالم السفلي؛ / فلك
من الأضواء الأرجوانية / الذي وقع في الأرض المظلمة.)
السياب قد أفاد بهذه التصاویر لبيان تصوير الحبيبة .

يرى اسكندر غريب بأن استخدام "غابات النخيل" ليس رائجا في اللغة
العربية، بل في الأكثر يُستخدم مصطلح "بساتين النخيل"، وهو يرى بأن
السياب قد تأثر بالشعراء الغربيين في هذه العبارة (Ghareeb, 2013,78)
يبدو أن السياب قد وظّف هذه لفظة الغابة متأثرا بالأشعار الرومانسية، خاصة
شيلي. ولكن هذه الصورة في لوحة شاملة تتلائم مع بيئة الشاعر. الشاعر
باستخدام هذه لفظة الغابة قد زاد جمالية هذه اللوحة بانزياح جميل، في
خروجه عن المألوف. في القطعة الأخرى "أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر"
ولعله قد تأثر بهذه القطعة من قصيدة "إلى القبرة" التي قد أشرنا إليه سالفا،
حسب قول مري شيلي، زوجة شيلي: هذه القصيدة قد نظمت في "لجورن"
(Leghorn) بإيطاليا، حين هما استعارا بيتا في الربيع. وشيلي قد تأثر بصوت
قبرة تتغنى تحت الأشجار في قصيدته "إلى قبرة" (To a Skylark). ويبدو أن
السياب قد استلهم بهذه القصيدة.

(Shelley, 1901: p. 381)

Like a highborn maiden/ In a palace tower / Soothing her
love-laden/ Soul in secret hour / With music sweet as love,.(ibid,
40-44)

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(94)

(الترجمة: كصيبة من طبقة الأشراف / في برج القصر / تهدئ ضميرها
المملوءة بالحب في خلوتها / مع موسيقى جميلة كالحب .)

٥-٦. المطر صوت الحزن:

صوت نزول المطر، تكون بمنزلة أنشودة الحزن عند الشاعر وكأن آهات
الشاعر تُرفع إلى السماء. وفي قصيدة " إلى جميلة بو حيرد"، نسمعه يقول "
يارب عطشى نحن، هات المطر" و يتغنى المطر بأناشيد الحزن، ويبحث لوعات
في نفس الشاعر لحظة نزول المطر وهو ينشد:

أتعلمين أي حزن يبعث المطر / كيف تنشج المزاريب إذا انهمر (السياب،
٢٠١٦: ١٢٢).

وينسجم هذا الصوت مع صوت شيلي في نفس القصيدة "إلى القبرة" وهو
ينشد:

Our sweetest songs are those that tell of/ saddest
thoughts.(Shelley, 1901: p. 381, 90)

الترجمة: أجمل أناشيدنا تكون تلك التي تروي أحزن الأفكار.

٦-٦. تصوير الأقمار في النهر الذي يرجه المجذاف، وحركة النجوم في

الماء

قام السياب بتصوير القمر والنجوم في النهر بهذه الصور؛
ترقص الأضواء... كالأقمار في النهر / يرجه المجذاف وهنا ساعة السحر / كأنما
تنبض في غوريهما النجوم

(السياب، ٢٠١٦: ١٢١).

هذه الصورة تنطبق مع بعض الصور في قصيدة "ثورة الإسلام" لشيلي،
التي قد أشرنا إليه آنفاً:

And that strange boat like the moon's/ shade did sway/ Amid
reflected stars that in the waters lay (Shelley, 1901: p. 54, XXII
228-230).

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(95)

الترجمة: ذلك الزورق العجيب / كظل القمر / انحرف بين النجوم التي قد انعكست في الماء.

الشاعر في هذه الصورة قد رسم نهرا تنعكس فيه صورة القمر والنجوم، و يحركها مجذاف الزورق. نلاحظ أن هذه العبارة في نفس الصورة: " كأنا تنبض في غوريهما النجوم" تنطبق مع عبارة في قصيدة "السحاب" (The Cloud) لشيلي هذه القصيدة وقصيدة "إلى القبرة" قد نشرت متزامنا مع برومفيوس طليقا عام ١٨٢٠، وشيلي قد أنشد:

The stars peep behind her and peer; (ibid, p. 380, 52).

الترجمة: النجوم تنظر خلفها نظرة سريعة وتحقق.

٦-٧. صوت الطبيعة

المطر يكون كصوت الطبيعة ومع نزوله بإمكاننا أن نسمع ضربا من الموسيقى الذي تتناغم معه الكائنات المختلفة على سطح الأرض :

وكركر الأطفال في عرائش الكروم / ودغدغت صمت العصافير على الشجر/ أنشودة المطر/ مطر/ مطر/ مطر (السياب، ٢٠١٦، ١٢١).

وشيلي أيضا في قصيدة موسيقى (Music) قد صرح بأن هذه الموسيقى المقدسة تحرك الأشجار والأزهار والطيور والكائنات .

I pant for the music which is divine./ My heart in its thirst is a dying flower ; / Pour forth the sound like enchanted wine,/ Loosen the notes in a silver shower; Like a herbless plain for the gentle rain.(Shelley, 1901: p. 488, 1-4).

الترجمة: أنا ألته للموسيقى الذي يكون إلهيا. / قلبي كزهرة ميتة في عطشه ؛ / يصبّ صوتا كالشراب المطلسم. / يبعث الأنغام في وابل فضي؛ / كأرض خالية من الغلال في إنتظار الغيث .

كذلك السياب في قصيدته ينظر إلى "الغلال" كرمز للخير والبركة في الأرض وقد أنشد:

وفي العراق جوع/ وينثر الغلال فيه موسم الحصاد

(السياب، ٢٠١٦: ١٢٤).

من الملفت للنظر هو رؤية الشاعرين المتطابقين إلى نعمة الأرض "الغلال" ويجب أن نكون واعيا بأن الشاعرين قد ترعرعا في قطرين مختلفين من الأرض مع المحاصيل المختلفة.

المطر يأتي بالخيرات لأهل الأرض وكل الكائنات تتناغم مع صوت نزوله :
وكركر الأطفال في عرائش الكروم ، / ودغدغت صمت العصفير على
الشجر.

(م. ن، ١٢١)

شيلي في قصيدة " مع قيثارة إلى جين " (With a guitar : to Jane) التي نشرت عام ١٨٢٢، قد أنشد:

The melodies of birds and bees, /The murmuring of summer
seas,/And pattering rain, and breathing dew (Shelley, 1901: p.
415, 70-73).

ألحان الطيور والنحل ، / ودمدمة بحار الصيف، / وكركرة المطر، وندى

متنفسا

من التقنيات التي يمتاز بها الشعر الإنجليزي هي توظيف الألفاظ الموحية، أي الألفاظ التي تتلائم الألفاظ مع المعاني وشيلي في هذه العبارات مع تكرار حرف (الراء) قد أكسب القصيدة بعدا فنيا إيقاعيا. والسياب في هذه القصيدة قد استخدم هذه التقنية بصورة جميلة. بتكرار لفظة المطر، يشعر القارئ بأنه يسمع صوت المطر من البداية حتي النهاية. وفي هذه القطعة نلاحظ لفظة "كركر" و"دغدغ" تتلائم مع مدلولها وشيلي استخدم (Murmur) و(patter) في هذه القطعة أيضا .

٦-٨. الأرض الأم:

في هذه المنظومة الفكرية، الشاعر يقوم كعنصر فعال بأنسنة كل شيء يريد أن يتبادل معه الأوهام. والأرض تكون تلك الأم الحنونة التي قد احتضنت النباتات والجمادات ونرى أن شيلي في قصيدته رائحات (Fragments)، ينشد:

And Earth her-self/ Has sent from her maternal breast a growth/ Of starlike flowers and herbs of odors/ sweet. (Shelley, 1901: p. 443, 115-118).

الترجمة: والأرض نفسها/ قد أرسلت من صدرها الأمومي / نمو الأزهار الشبيهة بالنجوم والغلال ورائحات / طيبة.

وفي قصيدة "أنشودة المطر" تتكرر هذه الفكرة :

وكل دمعة من الجياح والعراة / وكل قطرة تراق من دم العبيد / فهي إبتسام في إنتظار مبسم جديد / أو حلمة توردت على فم الوليد

(السياب، ٢٠١٦، ج٢، ١٢٦).

والارض عند الشاعرين تكون تلك الأم الحنونة التي ترضع الأزهار والأشجار من صدرها. والسياب مع هذه العبارة " حلمة توردت على فم

الوليد " يشير إلى الأرض و"صدرها الأمومي" (Her maternal breast)

في هذه القطعة "حلمة توردت على فم الوليد"، يُشير السياب إلى الأزهار الموجودة على سطح الأرض التي قد لصقت إليها بحب الأمومة ونلاحظ أن شيلي في قصيدته "السحاب" (The Cloud) يشير إلى هذا الحنين بهذه العبارات :

The sweet buds every one./ When rocked to rest on their mother's/ breast/ As she dances about the sun. (Shelley, 1901: p. 380, 6-7)

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(98)

(الترجمة: الأزهار الجميلة كل منها / تتحرك لأن تقع في صدر أمها/ كما ترقص حول الشمس).

نلاحظ أن السياب في قصيدة "مرثية آلهة"، بكلمات موجزة، يشير إلى فكرة أمومة الأرض التي تكون منتشرة في أشعار الرومانسيين الإنجليز خاصة شيلي.

جزت أمه الأرض التي من عروقها/ ربا واغتذى في جوفها وهو هاجع.

(السياب، ٢٠١٦، ج٢، ٣٢)

ولكن هذه الرؤية ليست فقط منبعثة من الطبيعة بل قد يبدو أننا نلاحظ نوعا من الحنين من جانب الشاعر إلى الأم الفقيده، التي قد حرم من عاطفتها في سنين مبكرة من حياته. كما قد أشار في نفس القصيدة إلى هذا الحنين المنبعث من ذاته المتألّمة، وكأن المطر يكون كضربات لإيقاظ الذكريات المؤلمة: كأن طفلا بات يهذي قبل أن ينام: / بأن أمه التي أفاق منذ عام/ فلم يجدها، ثم حين لجّ في السؤال/ قالوا له بعد غدٍ تعود... / لا بد أن تعود.

(م.ن، ١٢٢)

السياب رسم صورة بديعة عن السنوات الماضية وخيبة أمله من رجوع الأم وكأن المتلقي يرجع إلى الوراء ويكون شاهدا بعيون السياب الطفل إثر فقدان الأم. لكن في انزياح جميل يُغيّر الكلام فيصرّح أمله بالمستقبل مع تكرار كلمة (الغد) و"بعد غدٍ تعود" ويؤكد على هذا الأمل بلفظة (لا بد) وتكرار "لا بد أن تعود".

٩-٦. ثائب:

أنسنة الطبيعة تفتح المجال لتصاوير جميلة والشاعر من هذا المنظار يلاحظ أن المساء "ثائب" و تنزل الدموع بدل المطر، ويتلازم "ثائب الغيوم" مع نزول المطر.

قصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(99)

تثائب المساء والغيوم ماتزال/ تسحّ ما تسحّ من دموعها الثقال

(السياب، ٢٠١٦، ج٢، ١٢٢).

كان "التثائب" (yawn) دائما من الموتيفات المفضلة عند شيلي والسياب

أيضا قد أفاد من هذا الموتيف في التصاوير المختلفة.

شيلي في قصيدة "ثورة الإسلام" قد أنشد:

See! the light-nings yawn./ Deluging Heaven with fire, and
the/ lashed deeps... Lightning, and hail, and darkness eddy-ing
by! (Shelley: 1901: p. 51, Ill 301-306).

الترجمة: أنظر! النور يتشاءب./ يعصف السماء بالنار، ويجلدها جلدة

عميقة... وتتصبب النور، والعاصفة الثلجية، والظلمة كالإعصار.

ونلاحظ أن السياب في قصيدة "جيكور والمدينة" شبه نور الشمس بجلدة

على عرى الحقول الحزينة، كما شبه النور بهذه الأوصاف المشتركة؛ (الشباب

وجلدة الحقول)

وظف السياب هذه الألفاظ في هذه العبارة:

حبالا من النار يجلدن عرى الحقول الحزينة

(السياب، ٢٠١٦: ٧٥).

ووفق عادة السياب تُستخدم ألفاظ سلبية، تُبين نفسية الشاعر الحزينة.

٦-١٠. الرعود:

من الألفاظ الأخرى التي قد استخدمها السياب هي لفظة "الرعود" وهذه

اللفظة لها تعابير مختلفة. يمكن أن يكون رمزا للأمل. لأن الرعود تُبشّر بنزول

الأمطار الغزيرة، كما شيلي قد أنشد من لسان السحاب، في قصيدته "

السحاب":

And then again I dissolve it in rain,/ And laugh as I pass in
thunder.(Shelley, 1901: p. 380, 11-12)

(الترجمة: وثم مرة أخرى، أنا أصبها في المطر / وأضحك في الرعود حين أمضي.)

من الطريف صوت قهقهة السحاب التي تبرز في صوت الرعود. وكأن السحاب يضحك في كل دفعة من نزول المطر. ولعل مراد السياب من "فهى ابتسام في انتظار مبسم جديد" هو تكرار نزول المطر والأمل بنزول المطر مرة أخرى، وتعبير بالابتسام قد أضاف إلى جمال هذه العبارة للإشارة إلى أمل الناس.

ولفظه "الرعود" تعتبر من الموتيفات الهامة المتكررة في أشعار شيلي و"الرعود" تكون رمزا لتغيير حاد وثوروي. ونسمع صوت الدعوة إلى الحرية من لسان شيلي، حين قد أنشد في قصيدته "الحرية" (Liberty):

The fiery mountains answer each other, / Their thunderings are echoed from zone to zone. (ibid, p. 398, 1-2)

الترجمة: الجبال المكتظة بالنار يتجاوبون، / رعودهم تنعكس من منطقة إلى منطقة أخرى.

وهذا المضمون المتشكل حول هذه الصورة تنطبق مع فكرة السياب في هذه العبارات. وقد يبدو يكون مراد السياب من "الرعود" هي ثورة الرجال، وإيجاد التغييرات الحادة في المجتمع العراقي ويتكلم بلغة الرمز وينشد: أكاد أسمع العراق يذخر الرعود / ويخزن البروق في السهول والجبال، / حتى إذا ما فض عنها ختمها الرجال. (السياب، ٢٠١٦، ج٢، ١٢٣)

٧- النتيجة:

حاولنا أن نثبت مدى تأثير شيلي على إنشاد قصيدة "أنشودة المطر" وفق منهج علمي. تعدّ قضية إثبات التأثير والتأثر ثم بيان الاختلافات بين الشاعرين من الأهداف التي تتبعها المدرسة الفرنسية. وعلى أساس هذا المنهج بحثنا عن الموتيفات الهامة في قصائد كلا الشاعرين. لانتحصر هذه الموتيفات بهذه

الأبيات التي ذكرناها في هذه الدراسة، بل تشمل على القصائد المختلفة فاخترنا ما رأينا فيه أكثر مشابهة. فقمنا بإثبات التأثير في سطوح مختلفة؛ التأريخية، والنصانية. ودرسنا النص في سطوح الموتيفات، والصور، المضامين. و من منطلق المنهج الفرنسي هناك تشابهات وبل انسجامات كثيرة بين قصيدة "أنشودة المطر" للسياب وأشعارشيلي في الصور والمضامين المختلفة.

١- تأثر بشيلي؛ نرى بأن السياب قد تأثر بشيلي في المادة والصورة. ولكنه بعقريته الفذة قام بإيجاد تغييرات في هاتين المجالين اللفظي والمعنوي.

التشابهات والتطابقات:

من أهم ما يمكن الإشارة إليها هي توظيف هذه الأسطورة لإثبات تأثر السياب بالمرحبة الشعرية برومئوس طليقا. أسطورة هرقل : التطابق في توظيف هذه الأسطورة بنفس الصورة من الكهف والطحلب.

الموتيفات والصور المتكوّنة حولها:

تشابه العنوان، تشبيه المطر بأنشودة أو الموسيقى تكررت في ديوان شيلي وكان دوما صوت الأحزان ومرور الذكريات. العيون: تشبيه العيون بالأسلحة وتشبيه الأسلحة بالعيون. - تشبيه العيون بالنيكين- وتصوير العيون كيانيع بين مجموعة من الأشجار- القمر والنجوم: تصوير القمر في الماء وحركته مع حركة المجذاف. - البرودة الموجودة في القمر والرعب والهلع الناشئ عنه . الأرض: بمثابة الأم وتشبيه الأزهار بالأطفال التي ترضع من صدرها. - الثائب: من الموتيفات الهامة التي أفاد بها الشاعران واستفادا منها لأنسنة المظاهر المختلفة التي بينها يوجد

تطابق. - تشبيه نور الشمس، بجلدة على الحقول - تشبيه صوت الرعد بالقهقهة.

و في هذا الضرب من الأشعار، بإمكان الشاعر أن يؤثر على شعور المتلقي بكلمات موجزة في نهاية الإيجاز؛ ما يعبره عنها محمد شاهين ب"ثورة الألفاظ. وبالتقنيات الحديثة والصور الحية والنابضة تؤثر على القارئ تأثيراً عميقاً. ومن جهة أخرى هذه القصيدة تغلب على الزمان. الشاعر وظف الطاقات اللغوية الموجودة في البلاغة العربية؛ الجمل الاسمية، قد استخدمت لإثبات الصورة في إطار الزمان. تعدّ الرموز الأدبية من المكونات الثقافية التي تكونت تدريجياً متلائمة مع الخلفية الثقافية، وتحويل هذه الرموز إلى دوال مع مدلولات متناقضة أو متفاوته قد تؤدي إلى تحول ثقافي غير لائق. على سبيل المثال كان القمر دوماً رمزاً للجمال والنور ولكنه تحول أشعار بعض الشعراء المعاصرين إلى رمز الخوف والبرودة.

٢- كيفية تأثر السياب باليوت: استنتجنا ضمناً بأن تأثير إليوت في هذه القصيدة (أنشودة المطر) يقتصر على ما صرح بها السياب في محاضراته وهو قد تأثر به في الطريقة الشعرية، التي لم تُجر بعد دراسة لائقة حوله. ما هو مهمنا في هذه الدراسة هو الوعي بالحدود الثقافية التراثية لأنه من لم يذد عن حوضه يتهدم.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- بلاطة، عيسى (١٩٨١م). بدر شاكر السياب، حياته وشعره بيروت: دارالنهار.
- ٢- بشرى، عثمان وكرومية خضرة (٢٠١٩). الشعر الرومانسي بين التأثير والتأثر؛ مقارنة نموذجية بين "توماس إليوت وبدر شاكر السياب"، ماجستير، محمد قادة، فرع الدراسات الأدبية، جامعة عبدالحميد بن باديس، ٢٠١٩.
- ٣- بيضون، حيدر توفيق (١٩٩١م). بدر شاكر السياب. بيروت: دارالكتب العلمية.
- ٤- السياب، بدر شاكر (٢٠١٦م). المجموعة الشعرية الكاملة (٢جلد)، بيروت: دارالمنتظر.

تصيدة (أنشودة المطر) للسياب وأشعار بيرسي بيش شيلي.....(103)

- ٥- شاهين، محمد (١٩٩٢م). إليوت وأثره على عبد الصبور والسياب، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ٦- شمس، سيروس (١٣٨٣هـ.ش). نقد ادبي. تهران: فردوس.
- ٧- شكيب انصاري، محمود (١٣٧٦هـ.ش). تطور الأدب العربي المعاصر، ط١، اهواز: جامعة شهيد تشمران.
- ٨- عباس، احسان. بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، ط٦، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٢م.
- ٩- علي، عبدالرضا (١٩٧٨م). الأسطورة قي شعر السياب، عراق: وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨م.
- عموري، نعيم (٢٠١٥). "موتيف الحياة والموت في شعر أديب كمال الدين"، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد ١٠. صص ٥٨٧-٦٠١.
- ١٠- الغري، حسن (د ت). كتاب السياب الثري، فاس: مجلة الجواهر..
- ١١- موري، ا. د. ش (٢٠١٤). أثر التيارات الفكرية والشعرية الغربية في الشعر العربي الحديث ١٩٧٠-١٨٠٠، ترجمة شفيق السيد وسعد مصلوح، ط١، بيروت: الجمل.
- ١٢- غنيمي هلال، محمد (٢٠٠٨). الادب المقارن، ط٩، القاهرة: نهضة مصر للطباعة.

References

- 1-Ayasrah, M. A & M. N. L. Azmi. (2019). "Intertextuality between T. S Eliot and Al Sayyab's poetry", *International Journal of English Linguistics*, 9 (3).
- 2-Eliot, T. S. (1928). *The Waste Land*. New York: Horace Liveright.
- 3-Domínguez, C. & Villanueva, D. (2015). *Introducing comparative literature*. London: Routledge.
- 4-Iskandar, Gh. (2013). "Translating AL-Sayyab into English". *Kufa Review*, 2, pp. 75-97.
- 5-Lowe, P J. (2002). Christian romanticism: T. S. Eliot's response to Percy Bysshe Shelley [Doctoral dissertation]. <http://etheses.dur.ac.uk/4127/>.
- 6-Neimneh, S. & Al- Qaisi, Z. (2015). The poetry of B. S. AL-Sayyab : "Myth and the influence of T.S. Eliot. *Language Center of Hashemite University*, 9, 178-192.
- 7-Nori, B. M. Sound patterning: The use of Alliteration in T. S. Eliot's poetry. (2009). *Mustansiriyah Journal of Arts*, 34 (51), pp. 1-19.
- 8-M. H. Abrams (2000). *The Norton anthology of English literature*. 7th ed. , vol. 2, New York and London: Norton.

- 9-Shanqino, C. (2013). *The variation theory of comparative literature*. Springer.
 - 10-Saedi, Gh. (2018). *Foreign affinities in Arabic translations of English poetry and its impact on modern Arabic verse* [Doctoral dissertation, SOAS University of London].
 - 11-Shelley, Percy, Bysshe. (1901). *The complete Poetical works of Percy Bysshe Shelley*. London: Houghton Mifflin Company.
 - 12-Vogel, M. U. (1940). *Shelley as a critic of society and politics* [MA dissertation, Loyola University].
<https://core.ac.uk/download/pdf/48598495.pdf>
- Translated Sources Translated Sources**
- 1-Balata, E. (1981). *Badr Shaker Al-Sayyab, His life and poetry* Beirut : Dar Al Nahar.
 - 2-Othman, B. & Khadra, K. (2019). *Romantic poetry between influence and influence; A typical comparison between "T. S. Elliot and Badr Shaker Al-Sayyab"* [MA dissertation, Abdul Hamid Bin Badis University].
 - 3-Beizoon. H. T. (1991). *Badr Shakir Al-Sayyab*. Beirut: Scientific Books House.
 - 4-Al-Sayyab, B. S. (2016). *The complete collection of poetry*. Beirut : Dar Al-Muntadhar.
 - 5-Shamisa, S. (1383). *Literary criticism*. Tehran: Paradise.
 - 6-Shakib, A. M. (1997). *The development of contemporary Arabic literature*. Ahwaz: Shahid Chamran University Press.
 - 7-Abbas, E. (1992). *Badr Shakir Al-Sayyab: A study of his life and poetry*. 6th ed. Beirut: The Arab foundation for Studies and Publishing.
 - 8-Ali, A. (1978). *Myth in Al Sayyab poetry*, Iraq: Manshoorat Vezarat ISaqafah va Al Foonon.
 - 9-Amoury, N. (2015). "The motif of life and death in the poetry of A.Kamal Aldin". *Arabic Language & literature*, 10 (4), pp 587-601.
 - 10-Ghonaimi, Hilal, M. (2008). *Comparative Literature*. 9th ed. Cairo: Daro Al Nahzah.
 - 11-Moreh, A. F. (1976). *Modern Arabic poetry 1800-1970, The development of its forms and themes under the influence of Western literature*. Brill.
 - 12-Algharfi, H. *Al-Sayyab's prose*. Fez: Majalato Al Javahir.